وفيه أربعة مباحث:

- **المبحث الأول: التكريم بالخَلْق والإيجاد.**

المطلب الأول: تعريف الخَلق

المطلب الثاني: آراء العلماء في كيفية الخَلق.

- **المبحث الثاني: التكريم بنفخ الروح وسجود الملائكة.**

المطلب الأول: خَلْق آدم واستخلافه

المطلب الثاني: نفخ الروح وسجود الملائكة

- **المبحث الثالث: التكريم بالحياة الدنيا**

المطلب الأول: نعمة الحياة

المطلب الثاني: ماهية الحياة الطيبة

- **المبحث الرابع: التكريم بالحفظ والعناية**

المطلب الأول: العناية الإلهية للإنسان

المطلب الثاني: آراء العلماء في كيفية حفظ الله لعباده

المبحث الأول

التكريم بالخلق والإيجاد

المطلب الأول: تعريف الخلق

الخَلْقُ: «هو الإيجاد من العدم كما جاء في لسان العرب، ومن صفات الله تعالى الخالق والخلاّق، ولا تجوز هذه الصفة بالألف واللام لغير الله (ﷻ) وهو الذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة، وأصل الْخَلْقِ التقدير، فهو باعتبار تقدير ما منه وجودها وبالاعتبار للإيجاد على وفق التقدير خَالِقٌ، وَالْخَلْقُ في كلام العرب: ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه؛ وكل شيء خلقه الله فهو مبتدئه على غير مثال سبق إليه»[1].

قال تعالى: ﴿...أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فإن أعظم نعمة على الإنسان نعمة الخلق والإيجاد، فالعدم ليس شيئاً ولا يمكن أن يكون العدم متصفاً بشيء.

قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٦٧].

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: (أَوَلا يَذْكُرُ الإنسان) فقرأه نافع وابن عامر وعاصم بتخفيف الذال والكاف المضمومة، والباقون بالتشديد مع الفتح في الكاف (أولا يَذَّكَّرُ)[2]، بالتخفيف بمعنى: أوَلا يتذكر، وبالتشديد بمعنى: أوَلا يتفكر فيعتبر[3].

وقوله تعالى: (أَوَلا يَذْكُرُ الإنسان) المتعجب من ذلك المنكر قدرة الله على إحيائه بعد فنائه، وإيجاده بعد عدمه في خلق نفسه، أن الله خلقه من قبل مماته، فأنشأه بشرّاً سويا من غير شيء (وَلَمْ يَكُ) من قبل إنشائه إياه (شَيْئاً) فيعتبر بذلك ويعلم أن من أنشأه من غير شيء لا يعجز عن إحيائه بعد مماته، وإيجاده بعد فنائه»[4].

---

(١) ابن منظور، **لسان العرب**. حرف الخاء. ج٥. ص١٣٩.

(٢) ينظر: سالم، محمد إبراهيم محمد (ت١٤٣٠هـ). **فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات**. ط١. القاهرة: دار البيان العربي، (١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م). ج٣: ص٣٩٤.

(٣) ينظر: الطبري، **جامع البيان**. ج١٨: ص٢٢٧. وابن عطية، **المحرر الوجيز**. ج٤: ص٢٥.

(٤) الطبري، **جامع البيان**. ج١٨: ص٢٢٧.

وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١].

أي إن الإنسان كان شيئاً، غير أنه لم يكن شيئاً مذكوراً، ومعنى قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ أي «أنه لم يكن شيئاً له نباهة ولا رفعة، ولا شرف، إنما كان طيناً لازباً وحمأ مسنوناً»[١].

وهذا إخبار عن الإنسان أنه أوجده سبحانه وتعالى بعد أن لم يكن شيئاً يذكر لحقارته وضعفه[٢].

وجاء في «التفسير الكبير للفخر الرازي»[٣] أن «(حِين) فيه قولان: الأول: أنه طائفة من الزمن الطويل الممتد وغير مقدر في نفسه، والثاني: أنه مقدر بالأربعين، فمن قال: المراد بالإنسان هو آدم قال المعنى: أنه مكث آدم عليه السلام أربعين سنة طيناً إلى أن نفخ فيه الروح»[٤].

«والآية تقتضي أنه قد مضى على الإنسان حال كونه إنساناً حين من الدهر مع أنه في ذلك الحين ما كان شيئاً مذكوراً.. واعلم أن الغرض من هذا التنبيه على أن الإنسان مُحْدَثٌ، ومتى كان كذلك فلا بد من مُحْدِثٍ قَادِرٍ»[٥].

---

(١) **المصدر نفسه**. ج٢٤: ص٨٧.

(٢) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. ج٨: ص٢٨٥.

(٣) هو الإمام فخر الدّين الرّازي، محمد بن عمر بن حسين القرشي الطّبرستاني الأصل (شمال دولة إيران)، الشافعي المفسّر المتكلّم، صاحب التصانيف المشهورة، ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة، كان إذا ركب مشى معه نحو الثلاثمائة مشتغل على اختلاف مطالبهم، في التفسير، والفقه، والكلام، والأصول، والطّبّ، وغير ذلك. وكان فريد عصره، ومتكلّم زمانه، توفي بهراة (مدينة أفغانية) يوم عيد الفطر سنة ست وست مئة، وله بضع وستون سنة، ومن تصانيفه «التفسير الكبير» سمّاه «مفاتيح الغيب» وكتاب «المحصول» وغيرها. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**. ج٢١: ص٥٠٠-٥٠١. والسيوطي، طبقات المفسرين. ج١: ص١١٥.

(٤) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٣٠: ص٧٣٩.

(٥) **المصدر نفسه**. ج٣٠: ص٢٣٦.

وأنه لم يكن شيئاً مذكوراً في الخلق وإن كان عند الله شيئاً مذكوراً. وقيل: ليس هذا الذكر بمعنى الإخبار، فإن إخبار الرب عن الكائنات قديم، بل هذا الذكر بمعنى الشرف والقدر؛ تقول: فلان مذكور أي له شرف وقدر. وقد قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، أي قد أتى على الإنسان حين لم يكن له قدر عند الخليقة[١].

وقال ابن عاشور[٢] في تفسير قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]. والمعنى: «هل يقر كل إنسان موجود أنه كان معدوماً زماناً طويلاً، فلم يكن شيئاً يُذْكَر، أي لم يكن يُسَمَّى ولا يُتَحَدَّثُ عنه بذاته»[٣].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [الرحمن: ١-٣] «ففي خلق الإنسان دلالتان: أولاهما: الدلالة على تفرد الله تعالى بالإلهية، وثانيتهما: الدلالة على نعمة الله على الإنسان، والخلق: نعمة عظيمة لأن فيها تشريفاً للمخلوق بإخراجه من غياهب العدم إلى مبرز الوجود في الأعيان، وقدم خلق الإنسان على خلق السماوات والأرض لما علمت آنفاً من مناسبة إردافه بتعليم القرآن»[٤].

وقد ذهب الإمام ابن عاشور مذهب من سبقه من المفسرين بأن الذكر صفة للشيء أي: إن الإنسان كان شيئاً لكنه لم يكن شيء يستحق أن يُذكر، حيث قال: وجملة (﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾) يجوز أن تكون نعتاً لـــ(حين) بتقدير ضمير رابط بمحذوف لدلالة لفظ (حين) على أن العائد مجرور بحرف الظرفية حذف مع جاره، فالتقدير هنا: لم يكن فيه الإنسان شيئاً مذكوراً، أي كان معدوماً في زمن سبق، ويجوز أن تكون الجملة حالاً من الإنسان، وحذف العائد كحذفه في تقدير النعت. والشيء: اسم للموجود، والمذكور: المعين الذي هو بحيث يذكر، أي يعبر عنه بخصوصه ويخبر عنه بالأخبار والأحوال، ويتعلق

---

(١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج١٩: ص١١٩. (بتصرف)

(٢) سبق ترجمته.

(٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٢٩: ٣٧٢.

(٤) **المصدر نفسه**، ج٢٧: ص٢٢٣.

لفظه الدال عليه بالأفعال، فأما المعدوم فلا يذكر لأنه لا تعين له فلا يذكر إلا بعنوانه العام كما تقدم آنفا، وليس هذا هو المراد بالذكر هنا، ولهذا نجعل مذكورا وصفا لـــ«شيئاً» أريد به تقييد (شيئاً)، أي شيئاً خاصاً وهو الموجود المعبّر عنه باسمه المعين له[1].

ويتبين من ذلك أن ارتقاء الإنسان إلى مرتبة الشيء المذكور هي مكانة عظيمة له، وتكريم لشأنه، وانتقاله من طَوْر مَهين إلى طور كريم ومن مرتبة أدنى إلى مرتبة عليا.

ويأتي بعد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢-٣].

«وأدمج في خلال ذلك الامتنان على الناس بنعمة الإيجاد ونعمة الإدراك والامتنان بما أعطيه الإنسان من التمييز بين الخير والشر وإرشاده إلى الخير بواسطة الرسل فمن الناس من شكر نعمة الله ومنهم من كفرها فعبد غيره»[2].

ومن هنا تتجلى حقيقة هذه النعمة (نعمة الخلق والايجاد) وهي بمثابة أساس لجميع النعم التي أنعمها الله تعالى على هذا المخلوق (الإنسان)، والتي لا يمكن إحصاؤها قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

والله سبحانه وتعالى يمنُّ على الإنسان بنعمة الإحياء فيقول: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٦-٧].

فالله سبحانه وتعالى لّما وصف نفسه بالكرم ذكر هذه الأمور الثلاثة ﴿خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ كالدلالة على تحقق ذلك الكرم... ولا شك أنه كرمُ وَجُودٍ لأن الوُجُودَ خير

---

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٢٩: ص٣٧٣. (بتصرف)

(٢) **المصدر نفسه**، ج٢٩: ص٣٧٣-٣٧٤.

من العدم، والحياة خير من الموت[1].

وهذه النعمة تكفي أن يكون الإنسان بسببها مَدينا للخالق (ﷻ)، ويعبده ويتدين بدينه، وبهذا يمكن القول بأن هناك ثمة علاقة بين الدَين والدِين، حيث جاء معنى الدِين في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]. بـ«الطاعة والذلة»[2] لله تعالى، لذلك نجد أنه هناك من عرّف الدِين بأنه «وفاءٌ إراديّ رمزيّ لدَين ثبت في ذمة المخلوق - الإنسان - تجاه الخالق نتيجة الخلق والايجاد، وإسباغ ما تميّز به على بقية المخلوقات من صفات»[3].

وهذا الوفاء إنما هو من خلال الإسلام والطاعة، وعبر الانصياع لأوامر الله، والاجتناب لنواهيه، أي إن الطريقة لوفاء الدَّيْن الذي يترتب على الإنسان من قبل الخالق (ﷻ)[4]، وجاء في الحديث الشريف عن النبي (ﷺ): «**فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ**»[5].

المطلب الثاني: آراء العلماء في كيفية الخلق.

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥].

وهذه ميزة وخصيصة وتكريم وتشريف لآدم عليه السلام، إذ خلقه الله تعالى بيديه

---

(١) ينظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٣١: ص٧٥.

(٢) الطبري، **جامع البيان**. ج٦: ص٢٧٣.

(٣) عكام، محمود. **الإسلام والإنسان**. ط٢. حلب: فصلت للدراسات والترجمة والنشر، (١٤١٩هـ=١٩٩٩). ص٣٠.

(٤) ينظر: **المصدر نفسه**، ص٣١.

(٥) هذا الحديث جزء من حديث سعيد بن جبير عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنه): أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فَمَاتَتْ قَبْلَ أَنْ تَحُجَّ أَفَأَحُجُّ عَنْهَا قَالَ: «**نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَتَهُ**» قَالَتْ نَعَمْ فَقَالَ: «**اقْضُوا اللَّهَ الَّذِي لَهُ فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ**» رواه البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ). **صحيح البخاري**. تحقيق مصطفى ديب البغا. ط٣. بيروت: دار ابن كثير، (١٤٠٧هـ=١٩٨٧م) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. باب من شبه أصلاً معلوماً بأصل مبين. ح (٦٨٨٥). ج٦: ص٢٦٦٨.

كما أخبر، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿بِيَدَيَّ﴾ خلاف بين أهل العلم، حيث ذهب فريق منهم على أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام بيديه واختصه بهذه الخصيصة، التي اختص بها عن سائر الخلق، ولم يخلق ذا روح بيديه غيره، وذهب الفريق الآخر على أن الله تعالى أضاف الخلق إلى نفسه تكريماً وتشريفاً لآدم عليه السلام، أي بمعنى التأكيد.

قال الطبري[1]: «يقول: لخلق يديّ؛ يخبر تعالى ذكره بذلك أنه خلق آدم بيديه»[2].

وقال الدارمي[3]: «إنه ولي خلق الأشياء بأمره وقوله وإرادته وولي خلق آدم بيده مسيساً لم يخلق ذا روح بيديه غيره فلذلك خصه وفضله وشرف بذلك ذكره، لولا ذلك ما كانت له فضيلة من ذلك على شيء من خلقه»[4].

وعن مجاهد[5] قال: «قال عبد الله بن عمر (رضي الله عنه): خلق الله أربعة أشياء بيده: العَرْشَ

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) الطبري، **جامع البيان**. ج٢١: ٢٣٩.

(٣) أبو سعيد عثمان بن سعيد الدّارميّ، صاحب «المسند» والتصانيف. ولد قبل المئتين بيسير وطوف الأقاليم في طلب الحديث، روى عن سليمان بن حرب وطبقته، وكان قيّما بالسّنّة، ثقة، حجّة، ثبتا، قال يعقوب بن إسحاق الهروي: ما رأينا أجمع منه، أخذ الفقه عن البويطي، والعربية عن ابن الأعرابي، والحديث عن ابن المديني، توفي في ذي الحجة سنة ثمانين ومئتين، وقد ناهز الثمانين. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**. ج١٣: ص٣١٩-٣٢٥. وابن العماد، **شذرات الذهب**. ج٣: ص٣٣٠.

(٤) الدارمي، الإمام أبو سعيد عثمان بن سعيد. **نقض الإمام عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عزو جل من التوحيد**. تحقيق رشيد بن حسن الألمعي. ط١. الرياض: مكتبة الرشيد، (١٩٩٨م). ج١: ص٢٣٠-٢٣١.

(٥) هو الإمام، أبو الحجاج المكي، الأسود، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، روى عن ابن عباس فأكثر وأطاب، وعنه أخذ القرآن، والتفسير، والفقه، وعن أبي هريرة، وعائشة، وغيرهم، وحدّث عنه عكرمة، وطاووس، وعطاء وغيرهم، قال الأنصاري حدثنا الفضل بن ميمون، وروي عنه أنه قال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة، وقال عرضت القرآن ثلاث عرضات على ابن عباس، أقفه عند كل آية، أسأله: فيم نزلت؟ وكيف كانت؟ قال ابن سعد=

والقلمَ وَعَدْنَ وآدم ثم قال لسائر الخلق كن فكان»[1].

أما القرطبي[2] فقد قال: «أضاف خلقه إلى نفسه تكريماً له، وإن كان خالق كل شيء، وهذا كما أضاف إلى نفسه الروح والبيت والناقة والمساجد، فخاطب الناس بما يعرفونه في تعاملهم، فإن الرئيس من المخلوقين لا يباشر شيئاً بيده إلا على سبيل الإعظام والتكرم، فذكر اليد هنا بمعنى هذا وقيل: التشبيه في اليد في خلق الله تعالى دليل على أنه ليس بمعنى النعمة والقوة والقدرة، وإنما هما صفتان من صفات ذاته تعالى. وقيل: لما خلقتُ بِيَدَيَّ لما خلقت بغير واسطة»[3].

وقال الشوكاني[4] أي: «ما صرفك، وصدّك عن السجود لما توليت خلقه من غير واسطة؟ وأضاف خلقه إلى نفسه تكريماً له، وتشريفاً، مع أنه سبحانه خالق كل شيء كما أضاف إلى نفسه الروح، والبيت، والناقة، والمساجد، قال مجاهد: اليد هنا بمعنى التأكيد

=مجاهد ثقة، فقيه، عالم، كثير الحديث. ومات مجاهد بمكّة وهو ساجد، وهو ابن ثلاث وثمانين سنة. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**. ج٤: ص٤٤٩-٤٦٧، وابن العماد، **شذرات الذهب**. ج٢: ص١٩-٢١.

(١) **ينظر**: **نقض الدارمي**، ج١: ص٢٦١. و السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين. **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**. بيروت: دار الفكر، (١٩٩٣). ج٢: ص٢٠٧.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج١٥: ص٢٢٨.

(٤) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) سنة (١١٧٣هـ- ١٧٦٠م) ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ ومات حاكما بها سنة (١٢٥٠هـ-١٨٣٤م)، وكان يرى تحريم التقليد. له ١١٤ مؤلفا، منها "فتح القدير الجامع بين فنَّي الرواية والدراية من التفسير "الذي حوى على درر عظيمة تدلُّ على تبحُّر هذا الإمام في علم التفسير، و"نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار" و"البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع" وغيرها. ينظر: الشوكاني. **البدر الطالع**. ج٢: ص٢١٤ وما بعدها. والباباني، **هدية العارفين**. ج١: ص٧٧٥.

والصلة مجازا كقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]»[١].

وقال السعدي[٢] أي: «شرفته وكرمته واختصصته بهذه الخصيصة، التي اختص بها عن سائر الخلق، وذلك يقتضي عدم التكبر عليه»[٣].

أما ابن عاشور[٤] فقال: «أي خلقته بقدرتي، أي خلقاً خاصّاً دفعة ومباشرة لأمر التكوين، فكان تعلق هذا التكوين تعلقاً أقربَ من تعلقه بإيجاد الموجودات المرتَّبة لها أسباب تباشرها من حمل وولادة كما هو المعروف في تخلق الموجودات عن أصولها. ولا شكّ في أن خلق آدم فيه عناية زائدة وتشريف اتصال أقرب»[٥].

وقال الشنقيطي[٦]: «فتصريحه تعالى بأنه خلق نبيه آدم بهذه الصفة العظيمة التي هي

---

(١) الشوكاني، **فتح القدير**. ج٤: ص٥١١.

(٢) هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السَّعْدي التميمي، مفسر، من علماء الحنابلة، من أهل نجد، مولده ووفاته في عنيزة (بالقصيم) بين سنة (١٣٠٧هـ=١٨٩٠م) وسنة (١٣٧٦هـ=١٩٥٦م) وهو أول من أنشأ مكتبة فيها (سنة ١٣٥٨) له نحو ٣٠ كتابا، ومن أهم مؤلفاته "تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن" و"تيسير اللطيف المنان في خلاصة مقاصد القرآن" و"القواعد الحسان في تفسير القرآن" وغيرها. ينظر: الزركلي، **الأعلام**. ج٣: ص٣٤٠. وعبد اللطيف، عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله. **مشاهير علماء نجد وغيرهم**. ط١. الرياض: دار اليمامة، (١٣٩٢هـ=١٩٧٢م). ص٢٥٦-٢٦١.

(٣) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. تحقيق عبد الرحمن ابن معلا اللويحق. ط١. مؤسسة الرسالة، (١٤٢٠هـ=٢٠٠٠ م). ص٧١٦.

(٤) سبق ترجمته.

(٥) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٢٣: ص٣٠٢.

(٦) هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، مفسر، مدرّس من علماء شنقيط (موريتانيا)، ولد بموريتانيا سنة (١٣٢٥هـ=١٩٠٧م) وتعلم بها، استقر مدرساً في المدينة المنورة ثم الرياض، وأخيرا في الجامعة الإسلامية بالمدينة وتوفي بمكة سنة (١٣٩٣هـ=١٩٧٣م)، له كتب، منها "أضواء البيان في تفسير القرآن" و"منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات" وكتب أخرى. ينظر: الزركلي، **الأعلام**. ج٦: ص٤٥. والمجذوب، محمد. **علماء ومفكرون عرفتهم**. ط٤. القاهرة: دار الشواف، (١٩٩٢م) ج١: ص١٧١ وما بعدها.

صفات كماله وجلاله يدل على أنها من صفات التأثير كما ترى، ولا يصح هنا تأويل اليد بالقدرة البتة»[1].

وتبين من آراء العلماء والمفسرين أنه لا خلاف في أن هذه الآية هي من آيات التكريم للإنسان، حيث أضاف الله تعالى فيها خلق آدم (عليه السلام) إلى نفسه تشريفاً له وتكريما، أما موطن الخلاف فيها هي: هل خلق الله تعالى آدم بيديه حقيقة أم مجازاً، فالذي يبدوا أن رأي الذين قالوا إن الله تعالى خلق آدم بيديه سبحانه و لم يخلق ذا روح بيديه غيره، وقولهم بأنها من الخصائص التي اختص بها عن سائر الخلق، هناك من الأدلة ما يعضده كحديث الشفاعة والذي فيه أربع خصائص لآدم (عليه السلام) اختص بها عن سائر البشر.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم)... وَقَالَ» **«أَنَا سَيِّدُ الْقَوْمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هَلْ تَدْرُونَ بِمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيُبْصِرُهُمْ النَّاظِرُ وَيُسْمِعُهُمْ الدَّاعِي وَتَدْنُو مِنْهُمْ الشَّمْسُ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ أَلا تَرَوْنَ إِلى مَا أَنْتُمْ فِيهِ إِلى مَا بَلَغَكُمْ أَلا تَنْظُرُونَ إِلى مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلى رَبِّكُمْ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ أَبُوكُمْ آدَمُ فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ وَأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ أَلا تَشْفَعُ لَنَا إِلى رَبِّكَ...»**[2].

---

(١) الشنقيطي، **أضواء البيان**. ج٧: ص٢٧٢.

(٢) وهو جزء من حديث محمد بن عبيد حدثنا أبو حيان عن أبي زرعة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي دَعْوَةٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً وَقَالَ أَنَا سَيِّدُ الْقَوْمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هَلْ تَدْرُونَ بِمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيُبْصِرُهُمْ النَّاظِرُ وَيُسْمِعُهُمْ لِلدَّاعِي وَتَدْنُو مِنْهُمْ الشَّمْسُ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ أَلا تَرَوْنَ إِلى مَا أَنْتُمْ فِيهِ إِلى مَا بَلَغَكُمْ أَلا تَنْظُرُونَ إِلى مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلى رَبِّكُمْ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ أَبُوكُمْ آدَمُ فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ وَأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ أَلا تَشْفَعُ لَنَا إِلى رَبِّكَ أَلا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا بَلَغَنَا فَيَقُولُ رَبِّي غَضِبَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَنَهَانِي عَنْ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلى نُوحٍ فَيَأْتُونَ نُوحاً فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلى أَهْلِ الأَرْضِ وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْداً=

ذكر الحافظ ابن حجر[1] عن ابن بطال[2]: «ويدل على أن اليدين ليستا بمعنى القدرة لأن في قوله تعالى لإبليس ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، إشارة إلى المعنى الذي أوجب السجود، فلو كانت اليد بمعنى القدرة لم يكن بين آدم وابليس فرق لتشاركهما فيما خلق كل منهما به وهي قدرته، ولقال إبليس وأي فضيلة له علي وأنا خلقتني بقدرتك كما خلقته بقدرتك، فلما قال خلقتني من نار وخلقته من طين دل على

=شَكُوراً أَمَا تَرَى إلى مَا نَحْنُ فيه أَلا تَرَى إلى مَا بَلَغَنَا أَلا تَشْفَعُ لَنَا إلى رَبِّكَ فَيَقُولُ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ نَفْسي نَفْسي... ائْتُوا النَّبِيَّ ﷺ فَيَأْتُونِي فَأَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَهْ. قال محمد بن عبيد لا أحفظ سائره، (فنهس) من النهس وهو الأخذ بأطراف الأسنان. رواه البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: [إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه..]. ح (٣١٦٢). ج٣: ص١٢١٥. ومسلم، **صحيح مسلم**. كتاب الإيمان، باب ادنى اهل الجنة منزلة فيها، ص١٠٩. ح (١٩٤). (واللفظ للبخاري).

(١) هو أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، الإمام الحافظ المؤرّخ الحافظ المؤرّخ الكبير شهاب الدين، ابن حَجَر، صاحب «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» و«الإصابة في تمييز الصحابة» أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة، ولد في ثاني عشر شعْبَان سنة ٧٧٣ ثَلاث وَسبعين وَسَبْعمائة بِمصْر وَنَشَأ بهَا يَتِيماً في كنف أحد أوصيائه فحفظ الْقُرْآن وَهُوَ ابْن تسع ثمَّ حفظ الْعُمْدَة وألفية الحَدِيث للعراقي والحاوي الصَّغِير ومختصر ابْن الْحَاجِب فِي الأُصُول، وسرعان ما أجاد بسائط الفقه والنحو، ودرس مدة طويلة من الزمن على أعظم علماء عصره، من أمثال البلقيني، وابن الملقن، والعراقي، وغيرهم، توفي في مصر سنة (٨٥٢هـ). ينظر: ابن العماد، **شذرات الذهب**. ج١: ص٧٤، والشوكاني، **البدر الطالع**. ج١: ص٨٨.

(٢) هو أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن البطّال القرطبي، مؤلف «شرح البخاري». من كبار المالكية، روى عن أبي المطرّف القنازعي، ويونس بن عبد الله القاضي، وتوفي في صفر من سنة تسع واربعين واربعمائة للهجرة. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**. ج١٨: ص٤٧-٤٨. وابن العماد، **شذرات الذهب**. ج٥: ص٢١٤.

اختصاص آدم بأن الله خلقه بيديه»[1].

لذا يمكن ترجيح القول الذي يقول أن الله تعالى خلق آدم بيديه بكيفية يعلمها الله سبحانه وتعالى وحده، وانها من الخصائص التي اختص بها عن سائر الخلق، وسائر المخلوقات خُلقوا بكن فيكون.

(١) ابن حجر، الامام الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. ط٢. بيروت: دار المعرفة. ج١٠: ص١٦٠.

المبحث الثاني

التكريم بنفخ الروح وسجود الملائكة

المطلب الأول: خلق آدم واستخلافه

في هذا المبحث تتضح حقيقة أخرى بعد أن لم يكن الإنسان شيئاً، ثم أصبح شيئاً لكن لا يستحق أن يُذكر ثم شاء الله تعالى أن يكرم هذا الإنسان لكي يكون له شأن وذِكْر بين الملأ الأعلى والخلائق أجمعين، ألا وهي التكريم بنفخ الروح فيه.

فالله سبحانه وتعالى خلق آدم (عليه السلام) أبا البشرية بيديه تعالى جل شأنه، وكان التكريم الأول لهذا الإنسان الإعلان الإلهي العظيم بين الملإ الأعلى وعباده المكرمين (الملائكة) أنه خالق بشراً من طين، ليكون خليفة في الارض، إنه تكريم عظيم حقاً من الخالق لبني الإنسان، لاسيما وقد اقترن هذا الإعلان بأمر الملائكة أن تسجد لهذا البشر[1].

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ...﴾ [البقرة: ٣٠].

ولما امتنّ سبحانه بما تقدم في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، أتْبَعَ ذلك بنعمة عامة، وكرامة تامة، والإحسان إلى الأصل إحسان إلى الفرع، والولد سر أبيه، ألا وهي نعمة الخلافة على آدم (عليه السلام) وذريته[2].

وفي قوله: ﴿خَلِيفَةً﴾ للمفسرين آراء منها:

أولاً: «أي يخلف من كان قبله من الملائكة في الأرض أو من كان قبله من غير الملائكة، هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يُسمع له ويُطاع، لتجتمع به الكلمة، وتنفذ به أحكام الخليفة، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦].

---

(١) ينظر: عثمان، نبيه عبد الرحمن. **الإنسان؛ الروح والعقل والنفس**. مكة المكرمة: سلسلة دعوة الحق (٧٠). (١٤٠٨هـ=١٩٨٧م). ص١٨.

(٢) ينظر، الالوسي. **روح المعاني**. ج١: ص٢٢٠.

وقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [النور: ٥٥]. أي يجعل منهم خلفاء»[١].

ثانياً: «أي قوماً يخلف بعضهم بعضاً قرناً بعد قرن، وجيلاً بعد جيل»[٢].

ثالثاً: المراد بالخليفة في الآية آدم وذريته، ولم يقل خلائف أو خلفاء لأنه أُريد بالخليفة آدم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما تستغني بذكر أبي القبيلة في قولك مُضَرَ وهاشم[٣]، وهل هو خليفة عن الله؟ أو خليفة عن الجن؟ أو خليفة عن خلق آخرين؟ وفي ذلك للمفسرين أقوال أصحها أي: هو خليفة عن الله، بمعنى خليفةً منّي يخلفني في الحكم بين خلقي، وذلك الخليفة هو آدمُ ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه، وليس هناك نص قطعي في الموضوع، والخليفة في اللغة من خلف فلان فلاناً في أمر إذا قام فيه مقامه بعده[٤].

وهو ما ذهب اليه السمعاني[٥] في تفسيره حيث قال: «وَقيل: إِنَّمَا سمى خَلِيفَة لأَنَّهُ

---

(١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج١: ص٢٦٣.

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. ج١: ص٢١٦.

(٣) مضر وهاشم: قبيلتين من القبائل العربية، مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان من أولاد إسماعيل (عليه السلام)، وهاشم الذي اسمه عمرو من أولاد مُضَر والرسول (ﷺ) من بني هاشم. ينظر: ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت٢١٣ أو٢١٨). **السيرة النبوية**. تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي. ط٣. بيروت: دار المعرفة، (٢٠٠٣م). ج١: ص٢٥.

(٤) ينظر: الطبري، **جامع البيان**. ج١: ص٤٥٢، و حوى، سعيد. **الأساس في التفسير**. ط٣. القاهرة: دار السلام، (١٩٩١م)، مج١، ص١١٥،١١٦.

(٥) هو الإمام العلّامة أبو المظفّر السمعاني، منصور بن محمد التميمي المروزي الحنفي، ثم الشافعي. ولد سنة ست وعشرين وأربع مائة. تفقه على والده وغيره، وكان إمام وقته في مذهب أبي حنيفة، فلما حجّ ظهر له بالحجاز ما اقتضى انتقاله إلى مذهب الشافعي، ولما عاد إلى مرو (مدينة في تركمنستان) لقي أذى عظيما بسبب انتقاله، وصنّف في مذهب الشافعي كتبا كثيرة، وصنّف في الرّد على المخالفين، وله «الطبقات» أجاد فيه وأحسن، وله "تفسير" جيد حسن، وجمع في الحديث ألف جزء عن مائة شيخ وسمعان بطن من تميم، توفي سنة تسع وثمانين وأربع مائة، عاش ثلاثاً وستين سنة. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**. ج١٩: ص١١٤-١١٩. والسبكي، **طبقات الشافعية**. ج٧: ص١٨٠.

خَليفَة الله فِي الأَرْض؛ لإِقَامَة أَحْكَامه، وتنفيذ قضاياه، وَهَذَا هُوَ الأَصَح»[1].

المطلب الثاني: نفخ الروح وسجود الملائكة

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٨-٣١].

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [ص: ٧١- ٧٢].

وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٩].

أي: «فإذا صوّرته فعدَّلت صورته (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي) فصار بشراً حياً (فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) سجود تحية وتكرمة لا سجود عبادة»[2].

وفي قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ قال الامام الفخر الرازي[3]: وإنما أضاف الله سبحانه روح آدم إلى نفسه تشريفاً له وتكريماً[4].

أما في تفسير النفخ وحقيقته فقد قال الآلوسي[5]: النفخ في العرف إجراء الريح من

---

(١) السمعاني، **تفسير القرآن**. ج١: ص٦٤.

(٢) الطبري، **جامع البيان**. ج١٧: ص١٠١.

(٣) سبق ترجمته.

(٤) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج١٩: ص١٣٩.

(٥) هو محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها ما بين (١٢١٧-١٢٧٠هـ)،كان عالماً باختلاف المذاهب، مطلعاً على الملل والنحل سلفي الاعتقاد، مجتهداً. تقلد الإفتاء ببلده سنة ١٢٤٨هـ وعزل، فانقطع للعلم. خَلَّف رحمه الله للناس ثروة علمية كبيرة ونافعة، منها: "روح المعاني في التفسير"، فهي موسوعة تفسيرية قيِّمة. جمعت جُلَّ ما قاله علماء التفسير الذين تقدَّموا عليه، مع النقد الحر، والترجيح الذى يعتمد على قوة الذهن وصفاء القريحة و"وحاشيته على القطر"=

الفم أو غيره في تجويف جسم صالح لإمساكها والامتلاء بها، والمراد هنا تمثيل إفاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها وليس هناك نفخ حقيقة[1].

«إنه تكريم عظيم لهذا الإنسان من خالقه ومصوره ومبدعه بأن جعله خليفة في الارض، وتكريم عظيم أن تسجد الملائكة لهذا البشر، واعظم من كل هذا ما اختص به هذا المخلوق الذي نفخ فيه من روحه، وفي هذا اشارة إلى طهارة أصله وسمو معدنه ونقاء فطرته، وتكريم عظيم لهذا الإنسان حين خلقه الله بيديه فأي تشريف هذا وأي تكريم، انه أعظم تشريف وتكريم ناله مخلوق من خالقه العظيم»[2].

لقد بدأ هذا الخلق من حفنة تراب وحدها، والبشر جميعاً في هذه المرحلة من وجودهم ليس لهم فضل يمتازون به، أو يعلى مكانتهم على غيرهم من الكائنات. كم تساوي حفنة من التراب؟ لا شيء[3].

أن القرآن الكريم وصفهم في هذه المرحلة بما يدل على تفاهة الشأن، قال جل شأنه: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ [السجدة: ٧-٨].

=و"وشرح السلم في المنطق" وغيرها، ينظر: البابانى، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي (ت١٣٩٩هـ). **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**. استانبول: وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، (١٩٥١م). ج٢: ص٤١٨. والذهبي، محمد السيد حسين (ت١٣٩٨هـ). **التفسير والمفسرون**. القاهرة: مكتبة وهبة، ج١: ٢٥٠-٢٥٧.

(١) الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت ١٢٧٠هـ). **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**. تحقيق علي عبد الباري عطية. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٥هـ). مج٧: ص٢٨١.

(٢) عثمان، نبيه عبد الرحمن. **الإنسان؛ الروح والعقل والنفس**. ص١٨-١٩.

(٣) الغزالي، محمد. **الجانب العاطفي من الإسلام**. ط١. مصر - الاسكندرية: دار الدعوة، (١٤١٠هـ=١٩٩٠م). ص١٠٢.

فتلك مرحلة في تاريخ الوجود الإنساني لا يستمد الإنسان منها أي كرامة، وإنما يستمد هذه الكرامة من الطور الآخر الذي يقول الله فيه لملائكته: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤].

وهنا بدأ التغيير يطرأ على الإنسان ليكون خلقاً آخر بقدرة الخالق (ﷻ)، من حالة إلى حالة أخرى مغايرة ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ ﴾ بنفخه الروح فيه، أي خلقاً مبايناً للخلق الأول مباينة ما أبعدها حيث جعله حيواناً وكان جماداً، وناطقاً وكان أبكم، وسميعاً وكان أصم، وبصيراً وكان أكمه لأنه جعل إنشاء الروح فيه، وإتمام خلقه إنشاء له، ففي الآية دلالة على بطلان القول: بأن الإنسان هو الروح لا البدن، فإنه سبحانه بين أن الإنسان هو المركب من هذه الصفات، وفيها دلالة أيضاً على بطلان القول: بأن الإنسان شيء لا ينقسم، وإنه ليس بجسم، فقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ﴾ يبين تركيبة الجسم بلا روح أي القسم الأرضي للإنسان فقط ثم جاءه القسم السماوي، ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ ﴾ أي ثم نفخنا فيه الروح، فتحرك وصار ﴿ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ ﴾ ذا سمع وبصر وإدراك وحركة واضطراب ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾[(١)].

وبهذه النفخة من روح الله سرت في الكيان الإنساني الخصائص، التي استحق بها أن يسمو ويمجد، فإن الملائكة ومن دونهم لا يكلفون بالسجود لسلالة من التراب تافهة القيمة، إن الإنسان كائن عظيم حقا بيد أن عظمته ترجع إلى نسبه السماوي الروحي، لا إلى نسبه الأرضي المادي[(٢)].

---

(١) ينظر: الطبري، **جامع البيان**. ج١٩: ص١٧. و الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢٣: ص٢٦٤ وما بعدها. وابن كثير، **تفسير القرآن الكريم**. ج٥: ص٤٦٦.

(٢) ينظر: الغزالي، **الجانب العاطفي من الإسلام**. ص١٠٣

«والذي بوأ للإنسان هذه المكانة السامية وفي الكون أجرام أضخم منه وأكبر، هو سر القبس الذي هو فيه نور الله، والنفخة التي فيه من روح الله، تلك النفخة التي جعلته مستعداً للخلافة في الأرض، لحمل الأمانة الكبرى، أمانة التكليف والمسؤولية»[1].

وسجود الملائكة للإنسان فيها دلالة واضحة على أن هذا الإنسان يعيش سيدا مكرّماً لهذا الكون، ووظيفته أن يكون خليفة لله تعالى، ويكون السيد المتصرف الذي سخّر الله له الكون وما فيه لنفعه، وخدمته، وسعادته.

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩].

«إضافة الروح إلى نفسه كإضافة البيت إليه للتشريف، واعلم أن النصارى يفترون على الله الكذب ويقولون بأن عيسى كان روح الله فهو ابن ولا يعلمون أن كل أحد روحه روح الله بقوله: ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ أي الروح التي هي ملكه كما يقول القائل: داري وعبدي، ولم يقل أعطاه من جسمه لأن الشرف بالروح فأضاف الروح دون الجسم على ما يترتب على نفخ الروح من السمع والبصر والعلم فقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾[2].

والروح التي نُفِخَتْ في آدم ونُسِبَتْ إلى الله تعالى: تشريفاً وتكريماً، ﴿مِن رُّوحِى﴾ هي روح مخلوقة بإجماع المسلمين، وقال ابن تيمية[3]: روح الآدمي مخلوقة مبدعة باتفاق

---

(١) القرضاوي، **قيمة الإنسان وغاية وجوده في الإسلام**. ص١٠.

(٢) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢٥: ص١٤١.

(٣) هو تقي الدّين أبو العبّاس أحمد بن عبد الحليم بن تيميّة الحرّاني الحنبلي، ولد بحرّان (جنوب شرق تركيا حالياً) سنة إحدى وستين وستمائة، وأقبل على العلوم في صغره، فأخذ الفقه والأصول عن والده، وعن الشيخ شمس الدّين بن أبي عمر، وأقبل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه، وتأهل للفتوى والتدريس، وله دون العشرين سنة، تبلغ تصانيفه خمسمائة مجلدة، أهمها "مجموع الفتاوى" و"السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية" و"دقائق التفسير" وغيرها. وأثنى عليه الذهبي وخلق بثناء حميد. ينظر: أبو المحاسن، **النجوم الزاهرة**. ج٩: ص٢٧١-٢٧٢. وابن العماد، **شذرات الذهب**. ج٨: ص١٤٢ وما بعدها.

سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة، وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين؛ فأرواح بني آدم ليست صفة لله تعالى: ولا جزءاً من الله تعالى جعل في أجساد بني آدم، والمقصود أن الإضافة في قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ من روحي هي للتكريم والتشريف، وأما كيفية النفخ فالقاعدة الذهبية في ذلك، التي عليها إجماع العلماء أن: الكيف مجهول، والمعنى معلوم، وهذا الفعل من الله تعالى: «النفخ» مفهوم المعنى، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة[1].

فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، فهي تقتضي تخصيصاً وتشريفاً يتميز به المضاف عن غيره، وهذه إضافة إلى إلهيته تقتضي محبته لها وتكريمه وتشريفه، بخلاف الإضافة العامة إلى ربوبيته حيث تقتضي خلقه وإيجاده، فالإضافة العامة تقتضي الإيجاد والخاصة تقتضي الاختيار[2].

وقوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [ص: ٧٣]. وذلك «لتذكير الإنسان بفضل الله تعالى عليه أولاً، وليعرف مكانته في الوجود والكون ثانياً، وليحذِّره من غواية الشيطان ثالثاً»[3].

حيث أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم تكريماً واحتراماً أي: أمرهم بالسجود له على وجه التحية والتكرمة تعظيماً له، واعترافاً بفضله، واعتذاراً عمّا قالوا فيه[4]، وهذه كرامةٌ عظيمةٌ من الله تعالى لآدم عليه السلام، وهو سجودُ تعظيم، وتسليم، وتحية، لا سجود عبادة، فسجود الملائكة لآدم عبادة لله وطاعة وقربة يتقربون بها إليه، وهو لآدم تشريف

---

(١) ينظر: ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر المشتهر بابن القيم الجوزية (ت٧٥١هـ). **الروح**. ط١. بيروت: دار المعرفة، (١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م). ص١٩٠-٢٠٢.

(٢) **المصدر نفسه**، ص٢٠٠. (بتصرف)

(٣) الزحيلي، محمد. **حقوق الإنسان في الإسلام**. ط٥. دمشق، بيروت: دار ابن كثير، (١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م). ص٢٨.

(٤) يقصد بقوله (عما قالوا فيه) ما جاء في قوله تعالى: ﴿... قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وتعظيم وتكريم[1].

ومما سبق تبين أن بنفخ الروح صار الإنسان خلقاً آخر، مغايراً لما كان عليه الحال قبل، مخالفاً كل المخالفة للأصل الطيني، تخلقت من انسجام هذين العنصرين وأعطت هذا الإنسان كل الخصائص التي تؤهله للارتفاع فوق مستوى الحيوان ويقرر له أهدافه وغايته العليا في الحياة، ويدل هذا على أن موقع الإنسان عند الله سبحانه وتعالى عظيم جدّاً في هذا الكون، فالروح المضاف إلى بدن الإنسان هو عنصر علوي (الهي) يتضمن استعداد الإنسان لتحقيق معالي الأمور، ويهيئه لأداء اقدس وظيفة، ألا وهي العبادة «بمعناها الواسع»، يقول سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وهذا ما تميّز به الإنسان عن غيره من المخلوقات الأخرى، فهو لا يعتبر إنساناً إلا بروحه لا بمادة بدنه وجسمه، كما قال الشاعر:

يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كم تشقى بخدمته ... أتطلب الرِّبْح فِيمَا فِيهِ خُسرانُ

أقبل على النَّفس واستكمل فضائلها ... فَأَنت بِالنَّفسِ لا بالجسم إِنْسَانُ[2]

(١) ينظر: القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (ت١٣٣٢هـ). **تفسير القاسمي؛ محاسن التأويل**. تحقيق: محمد باسل عيون السود. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٨هـ). ج١: ص٢٨٩-٢٩٠.

(٢) البستي، علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز أَبُو الفَتح (ت٤٠٠هـ). **قصيدة عنوان الحكم**. تحقيق عبد الفتاح أبو غدة. ط١. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، (١٤٠٤هـ=١٩٨٤م). ص٣٦.

المبحث الثالث

التكريم بالحياة الدنيا

المطلب الأول: نعمة الحياة

تعتبر الحياة من المواهب الأساسية التي منحها الله تعالى للإنسان، وحق الحياة هو أحد حقوق الإنسان الأساسية؛ بل هو الحق الأكثر أهمية على الإطلاق، لأنه رأس مال الإنسان الحقيقي، «وأبرز شيء في هذا الدين العظيم أنه إنساني الطابع»[1]، وأن الإنسان في هذا الدين مكرم أعظم تكريم، فالإنسان في نظر الإسلام مخلوق متميز، مكرم، ميزه الله وكرمه، وفضله على كثير من خلقه، ومن أهم مظاهر هذا التكريم حياته واستخلافه في الأرض، فالحياة هي الهبة العظيمة التي منحها الله تعالى له في المفاهيم القرآنية.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

ذكر الله في هذه الآيات أطوار الآدمي وتنقلاته، من ابتداء خلقه إلى آخر ما يصير إليه، فذكر ابتداء خلق أبي النوع البشري آدم عليه السلام، وأنه ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ أي: قد سلت، وأخذت من جميع الأرض، ولذلك جاء بنوه على قدر الأرض، منهم الطيب والخبيث وبين ذلك، والسهل والحزن وبين ذلك ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ﴾ أي: جنس الآدميين ﴿نُطْفَةً﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: تعالى وتعاظم وكثر خيره ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ كقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [السجدة: ٧]، فخلقه كله حسن، والإنسان من أحسن مخلوقاته، بل هو أحسنها على الإطلاق، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، ولهذا كان خواصه أفضل المخلوقات وأكملها[2].

---

(١) ينظر: http://islam.alnaddy.com/article/٣٤٩٥٩٤ بتاريخ ٢٠١٢/١٢/٣٠م.

(٢) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن. ص٥٤٨.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠].

يقول تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ الدالة على عظمته وكمال قدرته أنه خلق أباكم آدم من تراب، ﴿ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ ثم خرج من بطن أمه صغيراً ضعيف القوى والحركة، ثم كلما طال عمره تكاملت قواه وحركاته حتى آل به الحال إلى أن صار يبني المدائن والحصون، ويسافر في أقطار الأقاليم، ويركب متن البحور، ويدور أقطارَ الأرض ويتكسب ويجمع الأموال، وله فكرة وغور، ودهاء ومكر، ورأي وعلم، واتساع في أمور الدنيا والآخرة كل بحسبه. فسبحان مَنْ أقدرهم وسَيّرهم وسخرهم وصرفهم في فنون المعايش والمكاسب، وفاوت بينهم في العلوم والفكرة، والحسن والقبح، والغنى والفقر، والسعادة والشقاوة[1].

وفي قوله تعالى: ﴿إِذَا أَنتُم بَشَرٌ﴾ قال البقاعي[2]: «أي فاجأكم كونكم لكم بشرة هي في غاية التماسك والاتصال مع اللين عكس ما كان لكم من الوصف اذا كنتم تراباً، وأسند الانتشار إلى المبتدأ المخاطب لا الخبر لأن الخطاب أدل على المراد فقال: ﴿تَنتَشِرُونَ﴾ أي تبلغون بالنشر كل مبلغ بالانتقال من مكان إلى مكان مع العقل والنطق، ولم يختم

---

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. ج٦: ص٣٠٨. (بتصرف)

(٢) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين، مؤرخ أديب، أصله من البقاع (خربة روحا في لبنان) سنة (٨٠٩هـ=١٤٠٦م)، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس، وتوفي بدمشق سنة (٨٨٥هـ=١٤٨٠م). له عدة مصنفات منها "عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران" و"أخبار الجلاد في فتح البلاد" و"نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" يعرف بمناسبات البقاعي أو تفسير البقاعي، وغيرها، وله ديوان شعر سماه "إشعار الواعي بأشعار البقاعي" ينظر: السخاوي، **الضوء اللامع**. ج١: ص١٠١، والشوكاني، **البدر الطالع**. ج١: ص١٩.

هذه الآية بما ختم به ما بعدها[1]، دلالة على أنها جامعة لجميع الآيات، ودلالة على جميع الكمالات"[2].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

شرع تبارك وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته، بأنه تعالى هو المنعم على عَبيده، بإخراجهم من العدم إلى الوجود وإسباغه عليهم النعمَ الظاهرة والباطنة، ومضمونه: أنه الخالق الرازق مالك الدار، وساكنيها، ورازقهم، فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يُشْرَك به غَيره؛ ولهذا قال تعالى: ﴿... فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢][3].

وفي الصحيحين عن ابن مسعود (رضي الله عنه)، قال: سألت رسول الله (ﷺ) أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدّاً وَهُوَ خَلَقَكَ**»[4].

والخلق: أصله الإيجاد على تقدير وتسوية، ويطلق في القرآن وفي عرف الشريعة على إيجاد الأشياء المعدومة، فهو إخراجها من العدم إلى الوجود إخراجاً لا صنعة فيه للبشر، والمعنى: اجعلوا أيها الناس عبادتكم لله تعالى وحده، لأنه هو الذي أوجدكم في أحسن تقويم بعد أن كنتم في عدم، كما أوجد الذين تقدموكم، وقدم وصفه بخلق المخاطبين مع أنه متأخر بالزمان عن خلق من تقدموهم، لأن علم الإنسان بأحوال نفسه أظهر من علمه بأحوال غيره[5].

---

(١) ﴿...إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿...إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ ﴿... إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ ﴿...إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢١-٢٤].

(٢) البقاعي، **نظم الدرر**. ج٥: ص٦١٢.

(٣) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. ج١: ١٩٤. والقاسمي، **محاسن التأويل**. ج١: ص٢٦٥.

(٤) **متفق عليه**. البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب التفسير: سورة الفرقان، باب قوله تعالى: [والذين لا يدعون مع الله إلها آخر]. ح (٤٤٨٣). ج٤: ص١٧٨٤. ومسلم، **صحيح مسلم**. كتاب الإيمان، باب كون الشرك اقبح الذنوب. ح (٨٦). ص٦٢.

(٥) طنطاوي، محمد سيد. **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**. ط١. القاهرة: دار نهضة مصر، (١٩٩٧م). ج١: ص٧١.

والله سبحانه وتعالى خلق الخلق برحمته، واوجدهم بكرمه ولطفه، ووهب لهم الحياة الدنيا وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلاً بالعقل، وكرّمهم بالقرآن والبيان، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١- ٤].

قال الفخر الرازي[١]: «فلله تعالى رحمتان سابقة ولاحقة، فالسابقة هي التي بها خلق الخلق، واللاحقة هي التي أعطى بها الخلق بعد إيجاده إياهم من الرزق والفطنة وغير ذلك، فهو تعالى بالنظر إلى الرحمة السابقة رحمن، وبالنظر إلى اللاحقة رحيم، ولهذا يقال: يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، فهو رحمن، لأنه خلق الخلق أولاً برحمته، فلما لم يوجد في غيره هذه الرحمة و لم يخلق أحدٌ أحداً لم يجز أن يقال لغيره: رحمن»[٢].

وبما أن الرحمن والرحيم صفتان من الصفات الأزلية لله تعالى يمكن تأويل قول الإمام الرازي الرحمة السابقة بالرحمة العامة، أي رحمة عامة لجميع مخلوقاته، والرحمة اللاحقة بالرحمة الخاصة للمؤمنين، قال تعالى: ﴿... وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

وقال الطبري[٣]: «يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾: والله يختص من يشاء بنبوته ورسالته، فيرسله إلى من يشاء من خلقه، فيتفضل بالإيمان على من أحب فيهديه له، و«اختصاصه» إياهم بها، إفرادهم بها دون غيرهم من خلقه، وإنما جعل الله رسالته إلى من أرسل إليه من خلقه، وهدايته من هدى من عباده، رحمة منه له ليصيره بها إلى رضاه ومحبته وفوزه بها بالجنة، واستحقاقه بها ثناءه. وكل ذلك رحمة من الله له»[٤].

ولما كانت هذه السورة -سورة الرحمن- لتعداد نعمه التي أنعم بها على عباده قدم النعمة التي هي أجلّها قدراً، وأكثرها نفعاً، وأتمها فائدة وأعظمها عائدة، وهي نعمة تعليم

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢٩: ص٣٣٦.

(٣) سبق ترجمته.

(٤) الطبري، **جامع البيان**. ج٢: ص٤٧١.

القرآن، فإنها مدار سعادة الدارين، وقُطْبُ رَحَى الخَيْرَيْن، وعماد الأمرين. ثم امتنّ بعد هذه النعمة بنعمة الخلق التي هي مناط كل الأمور، ومرجع جميع الأشياء، فقال: (خَلَقَ الإنسان) ثم امتنّ ثالثاً بتعليمه البيان الذي يكون به التفاهم، ويدور عليه التخاطب، وتتوقف عليه مصالح المعاش والمعاد؛ لأنه لا يمكن إبراز ما في الضمائر، ولا إظهار ما يدور في الخلد إلاّ به قال قتادة[1]، والحسن[2]: المراد بالإنسان آدم، والمراد بالبيان: أسماء كلّ شيء، والأولى حمل الإنسان على الجنس، وحمل البيان على تعليم كلّ قوم لسانهم الذي يتكلمون به[3].

---

(١) هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي، وقيل: قتادة بن دعامة بن عكابة، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين، أبو الخطاب السدوسي، البصري، الضرير، الأكمه، مولده: في سنة ستين، وروى عن عبد الله بن سرجس، وأنس بن مالك، وأبي الطفيل الكناني، وسعيد بن المسيب وغيرهم، وهو من التابعين، وروى عن عكرمة مولى ابن عباس (رضي الله عنه)، كان رحمه الله من أوعية العلم، وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ، روى عنه أئمة الإسلام: أيوب السختياني، وابن أبي عروبة، ومعمر بن راشد والأوزاعي وغيرهم، توفي قتادة سنة ثماني عشرة ومائة. ينظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ). **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**. تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٢هـ =١٩٩٢م)، ج٧: ص١٨٤. والذهبي، **سير أعلام النبلاء**. ج٥: ص٢٦٩ وما بعدها.

(٢) هو الحسن البصري أبو سعيد بن أبي الحسن يسار، مولى زيد بن ثابت لأنصاري، وكانت أم الحسن مولاة لأم سلمة أم المؤمنين المخزومية، ويسار أبوه من سبي ميسان، سكن المدينة، وأعتق، وتزوج بها في خلافة عمر، فولد له بها الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر، قال الحسن: كنت يوم قتل عثمان ابن أربع عشرة سنة، وروى عن خلق من الصحابة، وروى عن خلق من التابعين، وعنه أيوب وشيبان النحوي، ويونس بن عبيد وغيرهم، قال قتادة: كان الحسن من أعلم الناس بالحلال والحرام، وعن بكر بن عبد الله المزني، قال: مَنْ سَرَّهُ أن ينظر إلى أفقه مَنْ رأينا فلينظر إلى الحسن. مات الحسن في رجب، سنة عشر ومائة. وقال عبد الله بن الحسن: إن أباه عاش نحوا من ثمان وثمانين سنة. ينظر: ابن الجوزي، **المنتظم**. ج٧: ص١٣٧-١٣٨. والذهبي، **سير أعلام النبلاء**. ج٤: ص٥٦٣ وما بعدها.

(٣) الشوكاني، **فتح القدير**. ج٥: ص١٥٨. (بتصرف)

وفي قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ قال الآلوسي[1]: أي علّم الإنسان القرآن لأنه أعظم النعم شأناً وأرفعها مكاناً، كيف لا وهو مدار للسعادة الدينية والدنيوية، إن قراءة القرآن كرامة أكرم الله تعالى بها البشر فقد ورد أن الملائكة لم يعطوا ذلك وأنهم حريصون لذلك على استماعه من الإنس[2].

أما في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ فقد قال ابن عاشور[3]: «ففي خلق الإنسان دلالتان: أولاهما: الدلالة على تفرد الله تعالى بالإلهية، وثانيتهما الدلالة على نعمة الله على الإنسان، والخلق: نعمة عظيمة لأن فيها تشريفاً للمخلوق بإخراجه من غياهب العدم إلى مبرز الوجود في الأعيان"[4].

المطلب الثاني: ماهية الحياة الطيبة

لا تطيب الحياة إلا إذا صاحَبَتْها طاعةُ الله، لأن الله وحده هو الذي يعلم ما يُسعِدُ الإنسان ويفرح قلبه، فالذي أوجده هو الله جل وعلا، فالله تعالى وليس غيره أعلم بحال الإنسان من الإنسان، فلا سبيل للإنسان الباحث عن السعادة والعيش الطيب إلا بمعرفة السبيل إلى ذلك عن طريق خالقه وفاطره سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

قال الفخر الرازي[5]: واعلم أنَّ عيشَ المؤمن في الدنيا أطْيَبُ من عيش الكافر لِوُجُوهٍ: الأول: أنه لما عرف أن رزقه إنما حصل بتدبير الله تعالى، وعرف أنه تعالى محسن كريم لا يفعل إلا الصواب كان راضياً بكل ما قضاه وقدره، وعلم أن مصلحته في ذلك،

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**. ج١٤: ص٩٨.

(٣) سبق ترجمته.

(٤) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**. ج٢٧: ص ٢٣٣.

(٥) سبق ترجمته.

أما الجاهل فلا يعرف هذه الأصول فكان أبداً في الحزن والشقاء. وثانيها: أن المؤمن أبداً يستحضر في عقله أنواع المصائب والمحن ويقدر وقوعها وعلى تقدير وقوعها يرضى بها، لأن الرضا بقضاء الله تعالى واجب، فعند وقوعها لا يستعظمها بخلاف الجاهل فإنه يكون غافلاً عن تلك المعارف، فعند وقوع المصائب يعظم تأثيرها في قلبه. وثالثها: أن قلب المؤمن منشرح بنور معرفة الله تعالى، والقلب إذا كان مملوءاً من هذه المعارف لم يتسع للأحزان الواقعة بسبب أحوال الدنيا، أما قلب الجاهل فإنه خال عن معرفة الله تعالى فلا جرم يصير مملوءاً من الأحزان الواقعة بسبب مصائب الدنيا. ورابعها: أن المؤمن عارف بأن خيرات الحياة الجسمانية خسيسة فلا يعظم فرحه بوجدانها وغمه بفقدانها، أما الجاهل فإنه لا يعرف سعادة أخرى تغايرها فلا جرم يعظم فرحه بوجدانها وغمه بفقدانها. وخامسها: أن المؤمن يعلم أن خيرات الدنيا واجبة التغير سريعة التقلب فلولا تغيرها وانقلابها لم تصل من غيره إليه، فعند وصولها إليه يكون أيضاً واجب التغير، فعند ذلك لا يطبع العاقل قلبه عليها، بخلاف الجاهل فإنه يكون غافلاً عن هذه المعارف فيطبع قلبه عليها فعند فوتها وزوالها يحترق قلبه ويعظم البلاء عنده[1].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣].

وهذا بيان واضح وجلي من الباري عز وجل «إن أكرمكم أيها الناس عند ربكم، أشدّكم اتقاء له بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، لا أعظمكم بيتا ولا أكثركم عشيرة»[2].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ قال الفخر الرازي[3]: فيه وجهان: (أحدهما): أن المراد من يكون أتقى يكون عند الله أكرم أي التقوى تفيد الإكرام (ثانيهما): أن المراد أن من يكون أكرم عند الله يكون أتقى أي الإكرام يورث التقوى، والأول أشهر

---

(١) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢٠: ص٢٦٧ وما بعدها (بتصرف).

(٢) الطبري، **جامع البيان**. ج٢٢: ص٣١٢.

(٣) سبق ترجمته.

والثاني أظهر لأن المذكور ثانياً ينبغي أن يكون محمولاً على المذكور أولاً في الظاهر فيقال الإكرام للتقي، وهي إثبات لكون التقوى متقدمة على كل فضيلة[1].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ وقوله: ﴿أَكۡرَمَكُمۡ﴾ «الخطاب مع الناس والأكرم يقتضي اشتراك الكل في الكرامة ولا كرامة للكافر، فإنه أضل من الأنعام وأذل من الهوام، نقول ذلك غير لازم مع أنه حاصل بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] لأن كل من خلق فقد اعترف بربه، كأنه تعالى قال من استمر عليه لو زاد زيد في كرامته، ومن رجع عنه أزيل عنه أثر الكرامة»[2].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) أَيُّ النَّاسِ أَكْرَمُ قَالَ: «**أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّه أَتْقَاهُمْ**» قَالُوا لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ قَالَ: «**فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّه ابْنُ نَبِيِّ اللَّه ابْنِ نَبِيِّ اللَّه ابْنِ خَلِيلِ اللَّه**» قَالُوا لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ قَالَ: «**فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي**» قَالُوا نَعَمْ قَالَ: «**فَخِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الإسلام إِذَا فَقِهُوا**»[3].

وقد يُخْطِئ الإنسان في فهمه لمعنى الكرامة والتكريم، الإنسان الذي لا هم له سوى الدنيا، وليس له في الآخرة من خلاق أو نصيب.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾ [الفجر: ١٥- ١٦].

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾ «أي فأما الإنسان إذا ما امتحنه ربه بالنعم والغنى ﴿فَأَكۡرَمَهُۥ﴾ بالمال، وأفضل عليه، ﴿وَنَعَّمَهُۥ﴾ بما أوسع عليه من فضله

---

(١) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢٨: ص١١٤. (بتصرف)

(٢) **المصدر نفسه**، ج٢٨: ص١١٤ -١١٥.

(٣) **متفق عليه**، البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب الانبياء. باب قوله: (لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين). ح (٣٢٠٣). ج٣: ص١٢٣٨. ومسلم، **صحيح مسلم**. كتاب الفضائل. باب من فضائل يوسف (عليه السلام). ح (٢٣٧٨). ص٩٦٧.

﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ﴾ فيفرح بذلك ويسرّ به ويقول: ربي أكرمني بهذه الكرامة، ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾ أي وأما إذا ما امتحنه ربه بالفقر ﴿فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾ فضيَّق عليه رزقه وقتَّره، فلم يكثر ماله، ولم يوسع عليه ﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾ فيقول ذلك الإنسان: ربي أهانني، يقول: أذلني بالفقر، ولم يشكر الله على ما وهب له من سلامة جوارحه، ورزقه من العافية في جسمه»[1].

فالإنسان الذي لا يهمه إلا الدنيا ولذاتها وشهواتها، فإن وجد الراحة في الدنيا يقول: ربي أكرمني، وإن لم يجد هذه الراحة يقول: ربي أهانني، وهذا خطأ، إذ المتنعم في الدنيا لا يجوز له أن يحكم على نفسه بالسعادة والكرامة، والمتألم في الدنيا لا يجوز له أن يحكم على نفسه بالشقاوة والهوان، لأن سعادة الدنيا وشقاوتها في مقابلة ما في الآخرة من السعادة والشقاوة كالقطرة في البحر، ولأن حصول النعمة في الدنيا وحصول الآلام في الدنيا لا يدل على الاستحقاق، فإنه تعالى كثيراً ما يوسع على العصاة والكفرة، إما لأنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وإما يحكم المصلحة، وإما على سبيل الاستدراج والمكر، وقد يضيق على الصديقين لأضداد ما ذكرنا، فلا ينبغي للعبد أن يظن أن ذلك لمجازاة[2].

وقال تعالى: ﴿... وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨].

أي «ومَنْ يُهِنْهُ اللهُ من خلقه فَيُشْقِه، ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ﴾ بالسعادة يسعده بها، لأن الأمور كلها بيد الله، يوفِّق من يشاء لطاعته، ويخذل من يشاء، ويُشقي من أراد، ويسعد من أحبّ، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله يفعل في خلقه ما يشاء من إهانة من أراد إهانته، وإكرام من أراد كرامته، لأن الخلق خلقه والأمر أمره ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣][3]».

---

(١) الطبري، **جامع البيان**. ج٢٤: ص٤١٢.

(٢) ينظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٣١: ص١٥٥.

(٣) الطبري، **جامع البيان**. ج١٨: ص٥٨٧.

وصدق الله العظيم إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦].

قال ابن كثير[1] في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى ﴾: «أي: خالف أمري، وما أنْزَلْتُهُ على رسولي، أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه، ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ أي: في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تَنَعَّم ظاهره، ولبس ما شاء وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد، فهذا من ضنك المعيشة»[2].

فالحياة الطيبة هي الحياة الكريمة التي فيها يشعر القلب بلذة اليقين وحلاوة الإيمان والرغبة في الموعود والرضا بالقضاء، والاستكانة إلى معبود واحد، والتنوّر بسر الوجود الذي قام به، هذه في الدنيا، وأما في الآخرة، فله الجزاء الأحسن والثواب الأوفى[3].

إذن أعظم كرامة للإنسان هي أن يكون إنساناً مؤمناً بالله تعالى، وإلا حياته التي وهبها الله تعالى له لا تكون لها قيمة، وإن ألذَّ ما في الحياة هو الإيمان بالله تعالى، وهو الأساس في حلول الطمأنينة في القلب، والسكينة في النفوس، والفوز بمرضاة الله تعالى يوم القيامة، وإذا ما وقفنا على سير من وجدوا هذه اللذة تملَّكَنا العجب من حالهم، وغبطتهم على ذلك السرور، ولقد وصف الإمام الشافعي[4] هذه اللذة بقوله:

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. ج٥: ص٢٢٢-٢٢٣.

(٣) ينظر: القاسمي، **محاسن التأويل**. ج٦: ص٤٠٧.

(٤) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الإمام (صاحب المذهب)، عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه الملة، أبو عبد الله القرشي، ثم المطلبي، الشافعي، المكي، ولد بغزة سنة خمسين ومئة،=

سهري لتنقيح العلـــوم ألـــذّ لي   من وصل غانية وطيـــب عنـــاق
وصرير أقلامي علـــى صـــفحاتها   أحلى من الـــدَّوْكاء والعـــشاق
وألذ من نقـــر الفتـــاة لـــدفها   نقري لألقي الرمل عن أوراقـــي
وتمايلي طربـــا لحـــل عويـــصة   في الدرس أشهى من مدامة ساق
وأبيت سهران الـــدجى وتبيتـــه   نوما وتبغي بعـــد ذاك لحـــاقي(1)

وفي ذلك قال أبو حامد الغزالي(2): «اعلم أن سعادة كل شيء ولذته وراحته تكون بمقتضى طبعه، وطبع كل شيء ما خلق له؛ فلذة العين في الصور الحسنة، ولذة الأذن في الأصوات الطيبة، وكذلك سائر الجوارح بهذه الصفة، ولذة القلب خاصة بمعرفة الجوارح بهذه الصفة. ولذة القلب خاصة بمعرفة الله سبحانه وتعالى لأنه مخلوق لها"(3).

إنه نموذج للحياة الطيبة التي كان يعيشها العلماء، والأنس والسرور الذي كانوا عليه في حياتهم الدنيا، وهذا دليل على أن اللذة والسعادة الحقيقية لابن آدم هي معرفة الله سبحانه وتعالى.

=نشأ يتيماً في حجر أمه بمكة، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، و«الموطأ» وهو ابن عـــشر، وتفقه على مسلم بن خالد الزّنجي مفتي مكّة وأذن له في الإفتاء وعمره خمس عشرة سنة، مـــن أشهر تصانيفه: «الأم» و«الأمالي الكبرى» و«الإملاء الصغير» و«مختصر البويطي» و«مختـــصر المزني» و«مختصر الرّبيع» و«الرسالة» و«السنن» وغير ذلك، حبب إليه الفقه، فساد أهل زمانه، توفي بمصر سنة أربع ومئتين، وله أربع وخمسون سنة، ينظر: الذهبي، **سير اعلام النبلاء**. ج١٠: ص٥ وما بعدها، ابن العماد، **شذرات الذهب**. ج٣: ص١٩.

(١) الشافعي، محمد بن ادريس بن شافع الهاشمي القريشي المطلبي (ت٢٠٤هـ). **ديـــوان الامـــام الشافعي**. تحقيق عبد الرحمن المصطاوي. ط٣. بيروت: دار المعرفـــة، (١٤٢٦هـــــ=٢٠٠٥). ص٨٧-٨٨.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي النيسابوري الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هــــ). **كيمياء السعادة**. نسخة (text): مكتبة مصطفى الإلكترونية. ص٩.

المبحث الرابع

التكريم بالحفظ والعناية

المطلب الأول: العناية الإلهية للإنسان

﴿... يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: ٦].

قال السعدي[١] أي: طوراً بعد طور، وأنتم في حالٍ لا يَدَ مخلوق تَمَسُّكُم، ولا عَيْنَ تنظر إليكم، وهو قد رباكم في ذلك المكان الضيق ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ ظلمة البطن، ثم ظلمة الرحم، ثم ظلمة المشيمة، ﴿ذَلِكُمُ﴾ الذي خلق السماوات والأرض، وسخر الشمس والقمر، وخلقكم وخلق لكم الأنعام والنعم ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ أي: المألوه المعبود، الذي رباكم ودبركم، فكما أنه الواحد في خلقه وتربيته لا شريك له في ذلك، فهو الواحد في ألوهيته، لا شريك له[٢].

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

أي: والله تعالى وحده هو الذى أخرجكم أيها الناس من بطون أمهاتكم إلى هذه الدنيا، وأنتم لا تعلمون شيئاً لا من العلم الدنيوي ولا من العلم الديني، ولا تعرفون ما يضركم أو ينفعكم، أنه سبحانه أخرجكم من بطون أمهاتكم بعد أن مكثتم فيها شهوراً تحت كلاءته ورعايته وأنتم لا تعرفون شيئاً، وركب فيكم بقدرته النافذة، وحكمته البالغة، «السمع» الذي تسمعون به، والبصر الذي بواسطته تبصرون، «والأفئدة» التي عن طريقها تعقلون وتفقهون، لعلكم بسبب كل هذه النعم التي أنعمها عليكم، تشكرونه حق الشكر، بأن تخلصوا له العبادة والطاعة، وتستعملوا نعمه في مواضعها التي وجدت من أجلها[٣].

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**. ص٧١٩.

(٣) ينظر: طنطاوي، **التفسير الوسيط**. ج٨: ص٢٠٥.

وقال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: ١١].

«أي: للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حَرَس بالليل وحَرَس بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فاثنان عن اليمين وعن الشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحداً من ورائه وآخر من قدامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل بدلاً حافظان وكاتبان»[(١)].

فالملائكة تعتقب في حفظ الإنسان وكلاءته والعناية به و﴿مُعَقِّبَٰتٌ﴾ جمع معقبة من عقب مبالغة في عقبه، إذا جاء على عقبه واصله من العقب وهو مؤخر الرجل ثم تجوز به عن كون الفعل بغير فاصل ومهلة كأن أحدهم يطأ عقب الآخر[(٢)].

وجاء في الصحيحين عن أبي هريرة (رضي الله عنه): أن رسول الله (ﷺ) قال: «**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الْعَصْرِ ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ -وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ- كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ**»[(٣)].

المطلب الثاني: آراء العلماء في كيفية حفظ الله لعباده

سرد الماوردي[(٤)] في تفسيره وجهين في تأويل قوله تعالى: ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾

---

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. ج٤: ص٤٣٧.

(٢) ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**. ج٧: ص١٠٦.

(٣) **متفق عليه**، البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل العصر. ح (٥٣٠). ج١: ص٢٠٣. ومسلم، **صحيح مسلم**. كتاب المساجد. باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما. ح (٦٣٢). ص٢٤٩.

(٤) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، الإمام العلامة، أقضى القضاة، الماوردي، الشافعي، وكان من وجوه فقهاء الشافعية وصاحب التصانيف، حدث عن: الحسن بن علي الجبلي، صاحب أبي خليفة الجمحي وآخرين، حدث عنه أبو بكر الخطيب، ووثقه، وقال مات في=

أحدهما: يحفظونه من الموت ما لم يأت أجله قاله الضحاك، الثاني: يحفظونه من الجن والهوام المؤذية ما لم يأت قدر[1].

وورد عن كعب[2] قال: «لَوْلا أَنَّ اللَّهَ وَكَّلَ بِكُمْ مَلائِكَةً يَذُبُّونَ عَنْكُمْ فِي مَطْعَمِكُمْ وَمَشْرَبِكُمْ وَعَوْرَاتِكُمْ لَتَخَطَّفَتْكُمُ الْجِنُّ"[3].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]. ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ «أي: من الملائكة يحفظون بدن الإنسان من الآفات»[4].

=ربيع الأول سنة خمسين وأربع مائة، وقد بلغ ستا وثمانين سنة، وله مصنفات كثيرة في الفقه والتفسير، وأصول الفقه والأدب، وكان حافظا للمذهب، مات ببغداد، وله تفسير القرآن سماه (النكت والعيون" و"أدب الدنيا والدين" و"لأحكام السلطانية" و"قانون الوزارة وسياسة الملك" وغيرها من المصنفات القيمة. ينظر: ابن الجوزي، **المنتظم**. ج١٦: ص٤١. والذهبي، **سير أعلام النبلاء**. ج١٨: ص٦٤ وما بعدها.

(١) الماوردي، **النكت والعيون**. ج٨: ص٩٨-٩٩.

(٢) هو كعب بن ماتع الحميري، اليماني، العلامة، الحبر، أبو إسحاق المعروف بكعب الأجلد، ويقال له: كعب الحبر أو كعب الاحبار، كان من أهل اليمن، أسلم في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وكان حسن الإسلام، كان على دين اليهود فأسلم، وقدم المدينة، ثم خرج إلى الشام فسكن حمص، وكان يحدث عن قصص بني إسرائيل، ولذلك كان موضع النقد عند بعض العلماء، توفي بحمص سنة (٣٢هـ)، وقيل: (٣٤هـ) في خلافة عثمان (رضي الله عنه) وقد جاوز المائة، وقد أسند الحديث إلى عمرو، وصهيب، وعائشة. توفي كعب بحمص، ذاهباً للغزو، في أواخر خلافة عثمان (رضي الله عنه) فلقد كان من أوعية العلم. ينظر: ابن الجوزي. **المنتظم**. ج٥: ص٣٨، الذهبي، **سير أعلام النبلاء**. ج٣: ص٤٩١ وما بعدها، ابن العماد، **شذرات الذهب**. ج١: ص٢٠١.

(٣) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج٩: ص٢٩٢.

(٤) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. ج٣: ص٢٦٧. والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج٧: ص٦.

وقال تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤]. «أي: حفظة يحفظون عملك ورزقك وأجلك»[١].

وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٣٦].

قرأ ذلك حمزة والكسائي وخلف وأبو جعفر ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ «عباده» بالجمع بمعنى: أليس الله بكاف محمداً وأنبياءه من قبله ما خوّفتهم أممهم من أن تنالهم آلهتهم بسوء، وقرأها الآخرون ﴿بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ على التوحيد، بمعنى: أليس الله بكاف عبده محمدا، والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ومتواترتان في قراءة الأمصار[٢].

وقال الفخر الرازي[٣]: «وذكره بلفظ الاستفهام والمراد تقرير ذلك في النفوس والأمر كذلك، لأنه ثبت أنه عالم بجميع المعلومات قادر على كل الممكنات غني عن كل الحاجات فهو تعالى عالم حاجات العباد وقادر على دفعها وإبدالها بالخيرات والراحات، وهو ليس بخيلاً ولا محتاجاً حتى يمنعه بخله وحاجته عن إعطاء ذلك المراد، وإذا ثبت هذا كان الظاهر أنه سبحانه يدفع الآفات ويزيل البليات ويوصل إليه كل المرادات، فلهذا قال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ ولما ذكر الله المقدمة رتب عليها النتيجة المطلوبة فقال: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ﴾ يعني لما ثبت أن الله كاف عبده كان التخويف بغير الله عبثاً وباطلاً»[٤].

وقال السعدي[٥]: «أي: أليس من كرمه وجوده، وعنايته بعبده، الذي قام بعبوديته، وامتثل أمره واجتنب نهيه، خصوصاً أكمل الخلق عبودية لربه، وهو محمد ﷺ،

---

(١) الطبري، **جامع البيان**. ج٢٤: ص٣٥٣.

(٢) ينظر: سالم، **فريدة الدهر**. ج٤: ص٢٨٥. والطبري، **جامع البيان**. ج٢١: ص٢٩٣. (بتصرف).

(٣) سبق ترجمته.

(٤) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج٢٦: ص٤٥٤.

(٥) سبق ترجمته.

فإن اللّه تعالى سيكفيه في أمر دينه ودنياه، ويدفع عنه من ناوأه بسوء»[1].

قال تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

فهذه تقوية وتسلية لقلبه (ﷺ) وقلب المؤمنين وتفريج للمؤمنين بوعد النصر والغلبة وضمان التأييد والإعزاز على أبلغ وجه لأنه تعالى إذا تكفل بالكفاية في أمر حصلت الثقة به للسين الدالة على تحقق الوقوع البتة، أو للتذييل الآتي حيث إن السين في المشهور لا تدل على أكثر من التنفيس عقب ذكر ما يؤدي إلى الجدال والقتال، والمراد سيكفيك كيدهم وشقاقهم[2].

وفي السُّنة جاء في الصحيحين عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) أنه أمره أن يقول عند منامه: «**باسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ**»[3].

وعن ابن عباس (رضي الله عنه) كنت خلف النبي (ﷺ) يوماً فقال: «**يَا غُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ إِلاَّ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**»[4].

---

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**. ص٧٢٤.

(٢) ينظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**. ج١: ص٧٣. والآلوسي، **روح المعاني**. ج١: ص٣٩٤.

(٣) وهو من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ فَإِنَّهُ لا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ. البخاري، **صحيح البخاري**. كتاب الدعوات. باب التعوذ والقراءة عند النوم. ح (٥٩٦١). ج٥: ص٢٣٢٩. ومسلم، **صحيح مسلم**. كتاب الذكر والدعاء. باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع. ح (٢٧١٤). ص١٠٨٨. (واللفظ للبخاري).

(٤) الترمذي، **سنن الترمذي**. كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله (ﷺ). باب (٥٩). ح (٢٥١٦). ص٥٦٦- ٥٦٧. وابن حنبل، أحمد. **المسند**. ح (٢٧٦٣). ج١: ص٣٠٣. (قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح)

«فقوله (ﷺ): «**احفظ الله**» «يعني: احفظ حدودَه، وحقوقَه، وأوامرَه، ونواهيَه، وحفظُ ذلك: هو الوقوفُ عندَ أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتنابِ، وعندَ حدوده، فلا يتجاوزُ ما أمر به، وأذن فيه إلى ما نهى عنه، فمن فعل ذلك، فهو مِنَ الحافظين لحدود الله الذين مدحهمُ الله في كتابه، وقال (ﷻ): ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ [ق: ٣٢- ٣٣]، وفسر الحفيظ ها هنا بالحافظ لأوامرِ الله، وبالحافظ لذنوبه ليتوب منها»[(١)].

وقوله (ﷺ) «**يحفظك**» يعني: أنَّ من حفظَ حدود الله، وراعى حقوقَه، حفظه الله، فإنَّ الجزاء من جنس العمل، وحِفْظُ الله لعبده يدخل فيه نوعان: أحدهما: حفظه له في مصالح دنياه، كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله، ومَنْ حفظ الله في صباه وقوَّته، حفظه الله في حال كبَره وضعفِ قوّته، ومتَّعه بسمعه وبصره وحولِه وقوَّته وعقله، وكذلك يحفظه في دنياه من غشيان الذنوب، وعن كل أمر مرهوب، ويحفظ ذريته من بعده، أما النوع الثاني من الحفظ وهو أشرف النوعين: حفظُ الله للعبد في دينه وإيمانه، فيحفظه في حياته من الشبهات المُضِلَّة، ومن الشهوات المحرَّمة، ويحفظ عليه دينَه عندَ موته، فيتوفَّاه على الإيمان[(٢)].

ويظهر مما سبق أن من النعم العظيمة التي أنعمها الله على الإنسان هو الشعور بعناية الله تعالى وحفظه له من كل الشرور، حيث تنتج عن هذا الشعور: السكينة، والاطمئنان، والراحة النفسية، والابتعاد عن القلق والاضطراب النفسي، وثمرة ذلك العمل والانتاج

---

(١) ابن رجب الحنبلي، الإمام الحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي (٧٣٦-٧٩٥هـ). **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**. تحقيق ماهر ياسين الفحل. مؤسسة الاميرة العنود بنت عبد العزيز الخيرية. ص٤١٤.

(٢) ينظر: **المصدر نفسه**، ص٤١٦-٤١٩. والصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد، عز الدين، المعروف بالأمير (ت١١٨٢هـ). **سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام**. دار الحديث، ج٢: ص٦٤٨.

والنشاط والتفاعل مع الحياة تفاعلاً إيجابياً، والاحساس بالتكامل التام بين جميع مخلوقات الله دون تعارض أو تصادم، أو الصراع من أجل البقاء، وفي ذلك تكمن منزلة الإنسان المؤمن، ويظهر الفرق الشاسع بينه وبين غيره.